# المختصر المفيد
# على أبواب كتاب
# التوحيد(١)

---

(١) هذا العمل من شرحي للطلاب في المسجد ، وهو شرحٌ وتعليقاتٌ على شرح ابن سعدي رحمه الله، فهو المعتمد هنا ، مقتصرا مثله على التراجم والأبواب دون التعرض لأدلتها إلا تلميحا وإشارة، مع العناية بالشروح الأخرى، مما قد أزيد به عليه، أو أنقص منه، أو أستغني بغيره عنه في بعض الأبواب، مما أعتقد أنه مناسب لطلاب العلم المبتدئين. ويعتبر المرحلة الأولى، والمرحلة الثانية ستكون بالشرح المختصر للأبواب والأدلة، إن شاء الله.

# ١ - كتاب التوحيد

في هذه الترجمة بيان أهمية التوحيد حيث أنه:

١- الحكمة من خلق الخلق .

٢- الغاية من إرسال الرسل .

٣- أنه واجب كثيرا ما أمر به في القرآن والسنة بل عليه وصية النبي ﷺ الخاتمة .

٤- أنه حق الله على العبيد .

## ٢- باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

لا تحصى فضائله وثمراته وجماعها : أن ليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة ، والفضائل المتنوعة ، مثل التوحيد فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله .

١- مغفرة الذنوب وتكفير الذنوب .

٢- السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما .

٣- المنع من الخلود في النار ، إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل .

٤- المنع من دخول النار بالكلية ، إذا كمل في القلب .

٥- الهدى والأمن في الدنيا والآخرة ، وبقدر تمام التوحيد يحصل تمامهما .

٦- أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه .

٧- جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد ، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت .

٨- أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات ، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه ، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي ، لما يخشى من سخطه وعقابه .

٩- أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم ، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي .

**١٠- ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء** : أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققا كاملا بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمله كثيرا ، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب .

## ٣- باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وهذا من فضائل التوحيد ، وتحقيق التوحيد نوعان :

**النوع الأول/ تحقيق واجب** ، وهو : تهذيبه وتصفيته من:

١- الشركين الأكبر والأصغر .

٢- البدع القولية الاعتقادية ، والبدع الفعلية العملية .

٣- المعاصي (وذلك بعدم الاستمرار عليها )

**النوع الثاني: تحقيق مندوب** وهو : كمال القنوت لله وقوة التوكل على الله بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين في شأن من شؤونه ، ولا يستشرف إليهم بقلبه ، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله ، بل يكون ظاهره وباطنه ، وأقواله وأفعاله ، وحبه وبغضه ، وجميع أحواله كلها مقصودا بها وجه الله ، متبعا فيها رسول الله .

فمن كان كذلك دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وليس تحقيق التوحيد بالتمني ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق ، ولا بالحلى العاطلة .

## ٤- باب الخوف من الشرك

إذا عرف المسلم أن الشرك :

١- ينافي التوحيد الواجب على العبيد .

٢- ويوجب دخول النار والخلود فيها .

٣- ويوجب حرمان الجنة إذا كان أكبر .

٤- لا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه .

٥- خاف الأنبياء على أنفسهم منه .

كان حقا على العبد أن يخاف منه أعظم خوف وذلك بأمور :

١- تعلم أنواع الشرك ووسائله ليحذر منها ولئلا يقع فيها من غير شعوره .

٢- سؤال الله العافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق .

٣- الاجتهاد في تنمية الإخلاص في قلبه وتقويته ، فكل من وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه .

٤- عدم الاغترار بالنفس ، فالثبات بيد الله ولا فضل لنفسك على نفسك.

## ٥- باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله

في الأبواب السابقة تكميل العبد نفسه وفي هذا الباب تكميله لغيره بالدعوة إلى التوحيد ، وهذا هو طريق جميع الأنبياء والرسل في أول رسالاتهم .

وإذا كانت الدعوة فرضا على كل أحد ، كان الواجب على كل أحد بحسب مقدوره ، فعلى العالم أعظم مما على غيره ، وعلى القادر بشيء أعظم مما على من ليست له تلك القدرة ، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين .

## ٦- باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وهذه المسألة أكبر المسائل وأهمها كما قال المصنف- رحمه الله- .

**إذ حقيقة التوحيد** : **النفي والإثبات** :

**١- الأمر الأول** : نفي الألوهية كلها عن غير الله سبحانه وتعالى.

**٢- الأمر الثاني** : إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له وتفرده بمعاني الألوهية كلها .

## ٧- باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

لها حالتان :

١- أن يعتقد أنها النافعة بنفسها فهذا شرك أكبر .

٢- أن يعتقد أنها مجرد سبب فهذا شرك أصغر .

وذلك أن الأسباب نوعان :

١- ما ثبتت سببيتها في الشرع كزمزم والعسل أو في القدر(التجربة العلمية لا الوهمية) كالأدوية الطبية ، فيجوز اعتقاد سببيتها والانتفاع بها على أنها سبب فقط، مع الاعتماد على مسببها سبحانه وتعالى .

٢ - ما لم تثبت سببيتها لا في الشرع ولا في القدر ، فلا يجوز الانتفاع بها مطلقا فإن اعتقدها سببا فشرك أصغر وإن اعتقد أثرها بنفسها فشرك أكبر **والشرع مبناه** على تكميل أديان الخلق بنبذ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين ، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات ، والجد في الأمور النافعة المرقية للعقول ، المزكية للنفوس ، المصلحة للأحوال كلها دينيها ودنيويها والله أعلم .

## ٨- باب ما جاء في الرقى والتمائم

أما التمائم فهي: تعاليق يعتقد متعلقها انتفاعه بها. وهي نوعان:

النوع الأول/ محرمة ، وهي ما كانت من القرآن والذكر فاختلف فيها السلف والخلف ، والأصح تحريمها لأمور :

١- ذريعة للتمائم الشركية الآتية.

٢- امتهانها بتعليقها الأطفال والدخول بها في الخلاء .

٣- عموم النهي عن التمائم ، وعلى المستثني الدليل المخصص .

٤- أن القلوب تتعلق بها بسبب تعليقها لا بما فيها من الذكر .

النوع الثاني/ شركية ، وهي ما كانت من غير الذكر فحكمها كحكم الحلقة والخيط في الباب السابق .

**أما الرقى فمعروفة ، وهي نوعان أيضا :**

**١- شرعية** : إذا كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن فإنها مندوبة في حق الراقي لأنها إحسان ، وجائزة في حق المرقي ، ولا ينبغي له طلبها ابتداء وليلحظ أنه نافع للراقي حيث تسبب له في أجره بالرقية .

٢- **شركية** : إذا كانت بغير ذلك كالتمتمات غير المفهومة ، أو يدعى بها غير الله ، فهذا شرك أكبر لأنه دعاء واستغاثة بغير الله .

إذن التمائم إما شركية أو محرمة .

والرقى إما شرعية أو شركية .

## ٩- باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

البركة كثرة الخير ودوامه .

والتبرك بالأشياء له حكم الأسباب إلا أنه معلق بالشرع فقط، لأن البركة مصدرها الشرع .

فما أذن الشرع بالتبرك به فهو جائز على القدْرِ والصفة المأذون بهما شرعا، وما لم يأذن به الشرع فالتبرك به شرك أصغر، إن اعتقد فيه البركة من الله، وشرك أكبر إن اعتقد أنه مصدر البركة .

والقدر المأذون به في البركة المباحة : الاطمئنان إلى الشيء والاستبشار به كما قال سبحانه: (بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم) .

## ١٠- باب ما جاء في الذبح لغير الله

نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله ، وإخلاص ذلك لوجهه ، كما هي صريحة بذلك في الصلاة ، فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتاب، فإذا ثبت أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات ، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام .

فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده : (أن يصرف العبد نوعا من أفراد العبادة لغير الله) ، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص ، وصرفه لغيره شرك وكفر . فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء .

## ١١- باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

ما أحسن إتباع هذا الباب بالباب الذي قبله ، فالذي قبله من المقاصد وهذا من الوسائل ، ذاك من باب الشرك الأكبر ، وهذا من وسائل الشرك القريبة فإن المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقربا إليها وشركا بالله قد صار مشعرا من مشاعر الشرك ، فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحة ولو قصدها لله ، فقد تشبه بالمشركين وشاركهم في مشعرهم ، والموافقة الظاهرة تدعوى إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم ، فالمنع لسببين :

١- توقي مشابهة المشركين .

٢- حسم مادة الشرك وسد ذرائعه .

وما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم من صلاتهم في الكنيسة فيجاب عنه بأمرين :

١- أن الكنيسة موضع معد في الأصل للصلاة لله لا لغيره .

٣ - أن الفعل مغاير فصلاة الصحابة مغايرة لصلاة النصارى ، أما الذبح فهيئته واحدة لدى الجميع .

## ١٢- باب من الشرك النذر لغير الله

النذر منهي عنه فلا يمكن اعتباره عبادة بذاته ، والمقصود هنا أحد أمرين :

١- الوفاء به فهو المحمود في كتاب الله ، فمن الشرك الأكبر الوفاء بالنذر لغير الله، لأن الوفاء عبادة .

٢- باعتبار أن القلب إذا عقد النذر فإنما يقصد معظما، فإذا نذر لغير الله فقد أشرك ، وإن كان نذره لله غيرَ عبادة بذاته .

## ١٣- باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

## ١٤- باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

الاستعاذة والدعاء والاستغاثة عبادات وصرف العبادة لغير الله شرك أكبر . لكن إن كانت بمخلوق حي قادر حاضر فجائزة، كما قال الله تعالى: (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) .

والفرق بين الدعاء والاستغاثة ، أن الدعاء عام في كل الأحوال، والاستغاثة خاصة في حالة الشدائد ، وقيل غير ذلك .

## ١٥- باب قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾

من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عُبِدَ مع الله ، فإن جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها كلهم فقراء إلى الله ، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة ، ولا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولا يملكون ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، فهذا أشرف الخلق على الإطلاق لا يملك نفع أقرب الخلق إليه وأمسهم به رحما فكيف بغيره ؟ فتباً لمن أشرك بالله وساوى به أحدا من المخلوقين ، لقد سلب عقله بعد ما سلب دينه .

## ١٦- باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾

وهذا أيضا برهان عظيم آخر على وجوب التوحيد وبطلان الشرك ، إكمالا للباب قبله فالملائكة التي عبدت من دون الله كيف تصعق خوفا من ربها سبحانه وتعالى لما تبدى لها جزء من عظمة ربها ، فكيف تستحق الألوهية وهذه حالها ؟! وكيف يُصرف عن الرب وهذه بعض عظمته ؟! فالمتصف بالجلال والكمال هو المستحق للألوهية والعبادة .

## ١٧- باب الشفاعة

ذكر المصنف رحمه الله الشفاعة في تضاعيف هذه الأبواب ، لأن المشركين يبررون شركهم ودعاءهم للملائكة والأنبياء أن لهم جاها عند الله فيرجون شفاعتهم عنده ، كما يُتقرب إلى الوجهاء عند الملوك والسلاطين .

فأبطل الله هذا الزعم وبين أن الشفاعة كلها له ، كما أن الملك كله له ، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى إلا توحيده وإخلاص العمل له ، فوجب الإخلاص له سبحانه وتوحيده لنيل تلك الشفاعة .

فشروط الشفاعة شرطان :

١ - إذن الله تعالى للشافع أن يشفع .

٢ - رضاه سبحانه عن المشفوع له .

ويجمعهما قول الله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ .

وقد ذكر المصنف رحمه الله كلام الشيخ تقي الدين في هذا الموضع ، وهو كاف شاف .

## ١٨- باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

وهذا الباب أيضا نظير الباب الذي قبله ، وذلك أنه إذا كان ﷺ وهو أفضل الخلق على الإطلاق وأعظمهم عند الله جاها وأقربهم إليه وسيلة ، لا يقدر على هداية أقرب الناس إليه وأنصرهم له هداية التوفيق لأن هذه الهداية إنما هي بيد الله ، فهو الذي تفرد بهداية القلوب كما تفرد بخلق المخلوقات ، فتبين أنه الإله الحق، وما سواه فهو عاجز فكيف يستحق شيئا من الألوهية .

وذلك أن الهداية نوعان :

١ - هداية التوفيق والإلهام ، وهي توفيق العبد وفتح قلبه للدين، وهي حاصة بالله عز وجل كما نفاها عن نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

٢ - هداية البيان والإرشاد، وهي هداية الناس بدعوتهم للدين، وهي لله ثم لغيره من عباده المصلحين كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

## ١٩- باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

الغلو : مجاوزة الحد المأذون به شرعا.

كأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء .

* واعلم أن الحقوق ثلاثة :

١- حق خاص لله لا يشاركه فيه مشارك وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك له ، والرغبة والإنابة إليه حبا وخوفا ورجاء .

٢- حق خاص للرسل دون غيرهم، وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة .

٣- حق مشترك وهو الإيمان بالله ورسله وطاعة الله ورسله ومحبة الله ومحبة رسله ، ولكن هذه لله أصلا ، وللرسل تبعا لحق الله .

والناس في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام :

١- الجفاة : وهم الذين يهضمونهم حقوقهم من محبتهم وتوقيرهم .

٢- الغلاة : وهم الذين يرفعونهم فوق منزلتهم الشرعية .

٣- أهل الحق : وهم الوسط بينهما فيقدرونهم قدرهم وينزلونهم منزلتهم ، ولا إفراط ولا تفريط .

## ٢٠- باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

## ٢١- باب ما جاء في أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

اعلم أن ما يفعل عند قبور الصالحين وغيرهم نوعان :

١- مشروع : وهو ما شرعه الشارع من زيارة القبور على الوجه الشرعي من غير شد رحل ، يزورها المسلم متبعا للسنة فيدعو لأهلها عموما ولأقاربه ومعارفه خصوصا فيكون محسنا إليهم بالدعاء لهم وطلب العفو والمغفرة والرحمة لهم ، ومحسنا إلى نفسه باتباع السنة وتذكر الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ .

٢- ممنوع . وهو نوعان :

١- محرم . لأنه سيلة للشرك ، كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها ، والصلاة عندها ، وكإسراجها والبناء عليها ، والغلو فيها وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة ، بأن يعتقد أن المقبورين سبب لاستجابة الله له.

٢- شرك أكبر . كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم ، فهذا شرك أكبر ، وهو عين ما يفعله عباد الأصنام مع أصنامهم .

ولا فرق في هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون في تحصيل مطالبه ، أو متوسطون إلى الله ، فإن المشركين يقولون : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ ويقولون : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ وأجمعت الأمة على ذلك ، وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام .

## ٢٢- باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

من تأمل نصوص الكتاب والسنة رأى تواتر النهي عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين ، وعن التشبه بالمشركين لأنه يدعو إلى الميل إليهم ، والنهي عن أقوال وأفعال يخشى أن يتوصل بها إلى الشرك ، كل ذلك حماية للتوحيد ، وعن كل سبب يوصل إلى الشرك ، وذلك رحمة بالمؤمنين ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة وتكميلها ، لتكمل لهم السعادة والفلاح .

ووسائل الشرك يجب الابتعاد عنها ابتعادا عظيما ، ولا يقدر بالزمن الذي هو فيه الآن، بل يقدر للأزمان البعيدة، فالمسألة جديرة بالاهتمام والرعاية.

## ٢٣- باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

مقصود هذا الباب الحذر من الشرك والخوف منه ، وأنه أمر واقع في هذه الأمة لا محالة ، والرد على من زعم أن من قال : لا إله إلا الله ، وتسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه ولو فعل ما ينافيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم ، وسمى ذلك توسلا لا عبادة فإن هذا باطل ، فكل من عبد غير الله فهو مشرك ، لا فرق بين معبود وغيره ، ولم ينفع ذلك العابدَ انتسابُه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر ، منافق . والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامي والألفاظ التي لا حقيقة لها .

## ٢٤- باب ما جاء في السحر

## ٢٥- باب بيان شيء من أنواع السحر

السحر : رقى وعزائم وعُقَد يُنفثُ فيها مع الاستعانة بالشياطين .

والسحر يدخل في الشرك من جهتين :

١- من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ، ومن التعلق بهم ، وربما تقرَّب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه .

٢- من جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ، ودعوى مشاركة الله في علمه ، وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك ، وذلك من شُعَبِ الشرك والكفر .

إضافة إلى ما فيه من التصرفات المحرمة والأفعال القبيحة كالقتل ، والتفريق بين المتحابين، والصرف والعطف ، والسعي في تغيير العقول ، وهذا من أفظع المحرمات ، ولذلك تعين قتل الساحر لشدة مضرته وإفساده .

والسحر أنواع ودركات بعضها أقبح وأسفل من بعض .

## ٢٦- باب ما جاء في الكهان ونحوهم

الكاهن : كلُّ مَنْ يدعي علم الغيب بأي طريق من الطرق .

وذلك أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب . فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرهما فهو مشرك شركا أكبر لادعائه مشاركة الله في شيء من خصائصه، وقد يحتاج إلى التقرب إلى الشياطين .

ومن صدَّق من ادعى ذلك ، فقد جعل لله شريكا فيما هو من خصائصه ، فهو مشرك إما أصغر أو أكبر على خلاف بين أهل السنة ويكفي أنه مشرك والعياذ بالله .

وفيه إبعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسدة للأديان والعقول .

## ٢٧- باب النشرة

وهو حل السحر عن المسحور ، ذكر فيه المصنف كلام ابن القيم في التفصيل بين الجائز منه والممنوع ، وفيه كفاية، حيث قال رحمه الله :

النشرة حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان :

١ - حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور .

٢ - النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز .

## ٢٨- باب ما جاء في التطير

التطير : التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع وغيرها ، كمن عزم على سفر فرأى منظرا قبيحا فتشاءم أن سفره في خطر ، ومن ذهب إلى اختبار فسمع لفظا سيئا فظن رسوبه في اختباره ، فنهى الشارع عن التطير وذم المتطيرين ، لأنه خرافة تفسد العقول وتبدد الأذهان، وتُعَلِّقُ القلوبَ بغير مولاها سبحانه وتعالى .

والمتطير أحد شخصين :

١- أن يستجيب لذلك الداعي فيترك ما كان عازما على فعله أو بالعكس ، فهذا وقع في المحذور وأشرك بالله الشرك الأصغر ، لأنه اعتقد أن هذا الصوت أو المنظر سبب للسوء والفشل ، وإن اعتقد أنه مؤثر بنفسه فشرك أكبر .

٢- أن لا يستجيب لذلك الداعي ولكنه يؤثر في قلبه حزنا وهما وغما ، فهذا وإن كان دون الأول، لكنه شر وضرر على العبد ، وضعف لقلبه وموهن لتوكله ، وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر فقوي تطيره ، وربما تدرج إلى الأمر الأول .

وينبغي لمن وجد شيئا من ذلك وخاف أن تغلبه الدواعي الطبيعية أن يجاهد نفسه على دفعها ويستعين بالله على ذلك ، ولا يركن إليها بوجه ليندفع الشر عنه .

وأما الفأل فهو محبوب الشرع ، وهو الاستبشار بما عزمت عليه ومضيت فيه، بسبب كلمة حسنة سمعتها أو منظر حسن رأيته .

فهو لا يُخِلُّ بعقيدة الإنسان ولا بعقله ، وليس فيه تعليق القلب بغير الله ، بل فيه من المصلحة : النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة .

والفأل مشروط بأن تكون همته وعزيمته سابقة لما تفاءل به ، لكن من لم يكن له همة إلا لما سمع بذلك ، أو بحث عن سبب يهيجه في إقدامه ، فإقدامه من الطيرة ، لأن الطيرة ما أمضاك أو ردك .

## ٢٩- باب ما جاء في التنجيم

**التنجيم نوعان :**

**١- علم التأثير** : وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية ، فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به ، أو تصديق لمن ادعى ذلك ، وهذا ينافي التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة ، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله ، ولما فيه من فساد العقل ، لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان .

**٢- علم التسيير** : وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات ، فهذا النوع لا بأس به ، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع ، إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات ، أو إلى الاهتداء به في الجهات .

## ٣٠- باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

الواجب الاعتراف لله بتفرده بالنعم ودفع النقم ، وإضافتها إليه قولا واعترافا بها ، ومن ذلك المطر فإن الأنواء وهي النجوم والفصول ليست من الأسباب لنزول المطر بوجه من الوجوه .

وإضافة المطر إلى الأنواء ثلاثة أقسام :

١ - إضافة تأثير : بأن يعتقد أنها هي المنزلة للمطر ، فهذه شرك أكبر .

٢ - إضافة تسبيب : بأن يعتقدها سببا ، فهذه شرك أصغر ، لعدم سببيتها للمطر شرعا ولا قدرا .

٣ - إضافة ظرفية : بأن يعتقد أن موسم كذا وقت للمطر فهذه جائزة ، ولتكن أدباً بلفظ (في) وليست بالباء ، فليقل مثلا : المطر ينزل في الوسم، ولا يقل : المطر ينزل بالوسم . مع أن المعنى واحد ، لكن العبارة الثانية موهمة أن الباء للسببية ، والأولى صريحة في الظرفية ، والاحتياط في التوحيد طريقة الشريعة .

## ٣١- باب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

هذا الباب في عبادة حب الله جل وعلا .

**والمحبة ثلاثة أقسام :**

**١-** محبة التألُّه : وهي المحبة التي تجعل المحبوب معبودا مطاعا في سائر أمره ، وبها يلهج اللسان بذكره ، وبها يتعلق القلب بالمحبوب ، فإما أن يكون المحبوب :

أ/ هو الله – سبحانه – فهذه المحبة أصل التوحيد وروحه ، ولابد أن تسبق هذه المحبة جميع المحاب وتغلبها ، وهي الحاكمة عليها .

ب/ وإما أن يكون المحبوب غير الله فهي المحبة الشركية شركا أكبر .

٢- المحبة في الله: وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم ، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم ، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها .

**٣-** المحبة الطبيعية: وهي التي تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها ، وهذه مباحة ، فإن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب العبادات ، وإن صدت عن ذلك وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات ، وإلا بقيت من أقسام المباحات . والله أعلم .

## ٣٢- باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

هذا الباب في عبادة الخوف من الله جل وعلا .

**والخوف ثلاثة أقسام :**

**١-** خوف التألُّه : وهو خوف السر الذي يجعل المخوف منه معبودا مطاعا في سائر أمره ، وبهذا الخوف ينزجر الخائف عن معاصي المخوف منه ، ويخشى بطشه به، ويرعد عند ذكره ولو لم يره، فإما أن يكون المخوف منه :

أ/ هو الله - سبحانه – فهذا الخوف عبادة جليلة بها صلاح قلب العبد وجوارحه ، ولابد أن يغلب هذا الخوف كل مخوف منه سواه عز وجل .

ب/ وإما أن يكون المخوف منه غير الله فهو الخوف الشركي شركا أكبر .

٢- الخوف الذي يمنع صاحبه من فعل طاعة لله - سبحانه –كخوفه من سلطان ونحوه بدون تأله له فهذا خوف محرم ، ودليل على ضعف خوفه من الله .

**٣-** الخوف الطبيعي: وهو الذي ينتج مما يتحقق ضرره على الإنسان، كعدو وسبع وسيل، فهذا خوف مباح ، وليحذر من الخوف الوهمي ، كالخوف الذي ليس به سبب أصلا أو أن سببه ضعيف فهذا من الجبن .

## ٣٣- باب قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾

التوكل على الله عبادة قلبية لا يجوز صرفها إلا لله ، وهو تفويض الأمر لله – سبحانه وتعالى – وأما الوكالة للمخلوق فهي جائزة وهي تفويض اللسان دون القلب في أمر من الأمور .

وحقيقة التوكل على الله :

١- أن يعلم العبد أن الأمر كله لله ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع ، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

٢- فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه ، وفي دفع المضار ، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه.

٣- وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة .

وليبشر المتوكل عليه بكفاية الله له ووعده للمتوكلين ، ومتى علق ذلك بغير الله فهو مشرك ، ووُكِل إليه وخاب أمله .

## ٣٤- باب قول الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

مقصود الترجمة في أن الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله أمران محرمان ينافيان كمال التوحيد الواجب .

إذ إنه يجب على العبد أن يكون بين الخوف من عقاب الله والرجاء فيما عنده من الثواب يتقلب بينهما فيغلب الرجاء في حال العجز عن الذنوب كمرض وكبر ، ويغلب جانب الخوف في حال القوة .

## ٣٥- باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

وهذه الترجمة موضحة نفسها ، والصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط ، وهو واجب على كل أحد .

وإن العبد متى علم أن المصيبة بإذن الله ، وأن الله أتم الحكمة في تقديرها ، وله النعمة السابغة في تقديرها على العبد رضي بقضاء الله وسلم لأمره وصبر على المكاره ، تقربا إلى الله ، ورجاء لثوابه ، وخوفا من عقابه ، واغتناما لأفضل الأخلاق ، فاطمأن قلبه وقوي إيمانه وتوحيده .

## ٣٦- باب ما جاء في الرياء

اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين ، وروح التوحيد والعبادة ، وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله .

ومن أعظم ما ينافي هذا مراءاة الناس والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم ، فهذا يقدح في الإخلاص والتوحيد .

واعلم أن الرياء فيه تفصيل :

١- فإن كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس ، واستمر على هذا القصد الفاسد ، فعمله حابط وهو شرك أصغر ، ويخشى أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر .

٢- وإن كان الحامل للعبد على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءاة الناس ، ولم يقلع عن الرياء بعمله ، فظاهر النصوص أيضا بطلان هذا العمل .

٣- وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده ، ولكن عرض له الرياء في أثناء عمله :

أ/ فإن دفعه وخلص إخلاصه لله لم يضره .

ب/ وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل ، وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في قلبه من الرياء ، وقد يحبط العمل ، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء .

والرياء آفة عظيمة ، ويحتاج إلى مجاهدة وتمرين النفس على الإخلاص .

## ٣٧- باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين ، وروح التوحيد والعبادة ، وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله .

ومن أعظم ما ينافي هذا العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها ، فهذا يقدح في الإخلاص والتوحيد .

وهو على تفصيل :

١- فإن كانت إرادة العبد كلها في سائر عمله لهذا القصد ، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة ، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب ، وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن ، فان المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان ، لا بد أن يريد الله والدار الآخرة .

٢- وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا ، والقصدان متساويان أو متقاربان فهذا وإن كان مؤمنا فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص ، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص .

٣- وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصا تاما ولكنه يأخذ على عمله جعلا معلوما يستعين به على العمل والدين ، كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير ، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق ، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها ، فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده، لكونه لم يرد بعمله الدنيا ، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له مُعينا له على قيام الدين .

## ٣٨- باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا من دون الله

الرب والإله هو الذي له الحكم القدري ، والحكم الشرعي ، والحكم الجزائي ، وهو الذي يؤله ويعبد وحده لا شريك له ، ويطاع طاعة مطلقة فلا يعصى ، فمن اتخذ عالما أو أميرا هكذا فقد اتخذه شريكا مع الله .

وهذه المسألة راجعة إلى الاعتقاد، فإذا خالف العالم أو الأمير حكم الشرع فتابعهما فهو على حالتين :

١- أن يعتقد خطأهما ، ولكن يتبعهما في الخطأ إما خوفا أو هوى فهو أمر محرم.

٢- أن يعتقد صوابهما، فهذا كفر أكبر .

فإذا كان هذا حال من اتبعهما، فكيف بمن ينافح عنهما يلوي أعناق الأدلة، وأقوال الأئمة لتتوافق مع آرائهم وأوامرهم، نعوذ بالله من الكفر والنفاق .

## ٣٩- باب قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾

هذا الباب في التحاكم إلى غير الشرع وتحكيمه بين الناس ، وتحكيم القوانين على حالين :

١- إما أن يعتقد حِلَّ تحكيم القوانين دون الشرع فهذا كفر أكبر .

٢- وإما أن يعتقد حرمته ولكنه يحكم به خوفا أو هوى فهذا كفر أصغر .

والتحاكم إلى القانون على ثلاث حالات :

١- أن يعتقد صحته فهو كفر أكبر .

٢- أن يعتقد فساده فهو كفر أصغر .

٣- أن يضطر إليه إذ لا سبيل لأخذ حقه إلا به فهو جائز .

## ٤٠- باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات

أصل الإيمان وقاعدته التي ينبني عليها هو الإيمان بالله ، وبأسمائه ، وصفاته .

فمن جحد شيئا من أسماء الله وصفاته بإنكارها كليا فقد أتى بما يناقض التوحيد وينافيه ، وذلك من شعب الكفر .

## ٤١- باب قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

الشكر مبني على ثلاثة أركان :

١- (القلب) اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره .

٢- (اللسان) التحدث بها والثناء على الله بها .

٣- (الجوارح) الاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته .

والواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولا واعترافا ، وبذلك يتم التوحيد ومخالفته ثلاث حالات :

١- إنكار نعم الله بالقلب واللسان فكفر أكبر.

٢- إقرار النعم لله بالقلب وإضافتها لغيره باللسان فذلك كفر أصغر .

٣- إقرار النعم لله بالقلب ، وهو بلسانه تارة يضيفها إلى الله ، وتارة يضيفها إلى نفسه وعمله وإلى سعي غيره كما هو جار على ألسنة كثير من الناس ، فهذا يجب على العبد أن يتوب منه ، وأن لا يضيف النعم إلا إلى موليها ، فإنه لا يتحقق الإيمان إلا بإضافة النعم إلى الله قولا واعترافا .

## ٤٢- باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾

والتنديد هو جعل شيء من حقوق الله لغيره مما يتعلق بـ:

١- أصل الإيمان فهو شرك أكبر وهو المتقدم في باب قول الله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ فيقصد بها الشرك الأكبر بأن يجعل لله ندا في العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات .

٢-كمال الإيمان فهو شرك أصغر وهو مراد هذه الترجمة كالشرك في الألفاظ كالحلف بغير الله ، وكالتشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ كلولا الله وفلان وهذا بالله وبك ، وكإضافة الأشياء ووقوعها لغير الله كلولا الحارس لأتانا اللصوص ، ولولا الدواء الفلاني لهلكت، ولولا حذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل كذا .

## ٤٣- باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

لله عظمة في نفوس المؤمنين حقا ، واسمه تقشعر منه الجلود فالحلف به يجب إن يكون معظما لدى الحالف والمحلوف له ، والمراد بهذا الباب أحد أمرين أو كلاهما :

١- الحلف نفسه :كيمين الخصومة، فإذا حلف خصمك بالله بعد توجه اليمين في حقه، فعليك الرضا بها، وحسبك بالمحلوف به عظيما، وذلك إذا كان الحالف معروفبالصدق أو ظاهره العدالة، ومثلها يمين الخبر .

٢- المحلوف به وهو الله :بأن يُحلف له بالله فلا يرضى بالله محلوفا به، بل يطلب الحلف بغيره كفلان والطلاق .

## ٤٤- باب قول ما شاء الله وشئت

ولها مراتب :

١- (العطف بالواو) كقول: ما شاء الله وشئت أو وشاء فلان. فهذا شرك أصغر .

٢- (العطف بثم) كقول : ما شاء الله ثم شئت أو ثم شاء فلان . فهذا جائز .

٣- (الاقتصار على مشيئة الله) قول : ما شاء الله ، دون ذكر غيره فهذا الأكمل لأنه تأدب مع الله ، لا سيما إذا قيلت له فيرد على القائل: بل ما شاء الله وحده كما فعل النبي ﷺ .

## ٤٥- باب من سب الدهر فقد آذى الله

وسب الدهر هو ذمه والتسخط منه ، وهو مرتبتان :

١- أن يعتقد أن الدهر هو الفاعل فهو شرك أكبر .

٢- أن يعتقد أن الدهر من فعل الله فقد آذى الله ولا شك في تحريمه .

فالساب دائر بين الشرك أو السب كما ذكر ابن القيم رحمه الله .

أما الخبر المحض دون لوم ولا تسخط فجائز كأن تخبر أن اليوم برد أو حر

## ٤٦- باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

إن من الأوصاف ما لا يستحقه إلا رب العالمين - سبحانه وتعالى - كقاضي القضاة وملك الأملاك فلا يجوز حينئذ وصف أحد البشر بهذا الوصف احتراما وتعظيما لله – عز وجل – لأنه وصف عام.

فأما إن قيد ذلك بما يخصصه فلا بأس، كقاضي قضاة السعودية .

## ٤٧- باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

التسمي بأسماء الله على قسمين :

١- أن يكون الاسم مختصا بالله - سبحانه - كالرحمن والله فلا يجوز تسمية أحد به سواه – تعالى - .

٢- أن لا يكون مختصا به كالعزيز والرحيم ، فله حالتان :

١- أن يلاحظ فيه الصفة فلا يجوز ، مثاله : رجل سماه أهله (زيد) فلما كبر وصار كريما سخيا قلبوا اسمه إلى (كريم) .

٢- أن لا يلاحظ فيه الصفة فجائز ، مثاله : رجل سماه أهله منذ ولد (كريم) ، فإنهم سموه بذلك وهو غير كريم ، وربما تفاءلوا بهذا الاسم في مستقبله .

ولذلك غير النبي صلى الله وعليه وسلم أبا الحَكَم ولم يغير من تسمى من الصحابة – رضي الله عنهم – بالحَكَم ، لأن الأول تكنى به لما اتصف بالحُكْم ، وأما الآخر فإنه سماه أهله بذلك قبل وصفه .

إلحاق : وصف الشخص أنه كريم أو رحيم أو حكيم لا بأس به ، والحظر إنما هو في التسمية المقترنة بالوصف .

وعليه فيجوز الوصف المجرد من التسمية ، والتسمية المجردة من الوصف ، (اسم بلا وصف أو وصف بلا اسم) .

## ٤٨- باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

أي فإن هذا مناف للإيمان بالكلية ، ومخرج من الدين ؛ لأن أصل الدين الإيمان بالله وكتبه ورسله ، ومن الإيمان تعظيم ذلك ، ومن المعلوم أن الاستهزاء والهزل بشيء من هذه أشد من الكفر المجرد ؛ لأن هذا كفر وزيادة احتقار وازدراء .

فإن الكفار نوعان : معرضون ومعارضون .

فالمعارض المحارب لله ورسوله ، القادح بالله وبدينه ورسوله أغلظ كفرا وأعظم فسادا .

والهازل بشيء منها من هذا النوع .

## ٤٩- باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾

المؤمن حقا من يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة ويثني على الله بها ، ولا يرى له حقا على الله ، فبهذا يتحقق الإيمان والتوحيد ، و بضده يتحقق كفران النعم والعجب بالنفس والإدلال الذي هو من أعظم العيوب .

فكل من زعم أن ما أوتيه من النعم والرزق حصل عليه بكده وحذقه وفطنته ، أو أنه مستحق لذلك لما يظن له على الله من الحق فإن هذا مناف للتوحيد . وهو حالان :

١- أن ينسب النعمة إلى نفسه بلسانه فقط ، فهو كفر أصغر .

٢- أن ينسب النعمة إلى نفسه بقلبه ، فهذا كفر أكبر .

## ٥٠- باب قول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾

يقصد بهذا الباب تحريم تعبيد الاسم لغير الله تعالى ، لأن فيه تنديدا لغير الله ، والتحريم بالإجماع كما حكاه ابن حزم - رحمه الله - ، ومن اعتقد معنى العبودية فهذا شرك أكبر .

فالتعبيد نوعان:

١ - تعبيد لفظي ومعنوي فهو شرك أكبر.

٢ - تعبيد لفظي فقط فهو محرم.

## ٥١- باب قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾

هذا الباب في الإلحاد في أسماء الله وصفاته – سبحانه وتعالى – :

**والإلحاد فيها أنواع منها :**

١ – تسمية الأصنام بها، كتسميتهم اللات من الإلهية والعزى من العزيز.

٢ – تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبًا، وتسمية الفلاسفة له علةً فاعلةً بالطبع .

٣ – وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص؛ كقول أخبث اليهود: إنَّه فقير، وقولهم: إنَّه استراح بعد أنْ خلق خلقه، وقولهم: يد الله مغلولة.

٤ – تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها ، كقولهم سميع بلا سمع وبصير بلا بصر

٥ – تشبيه صفاته تعالى بصفات خلقه، كمن يقول : يده كيد الإنسان .

## ٥٢- باب لا يقال السلام على الله

وقد بين ﷺ هذا المعنى بقوله : (( فإن الله هو السلام )) فهو تعالى السلام أي :

١- السالم من كل عيب ونقص ، وعن مماثلة أحد من خلقه .

٢- المسلِّمُ لعباده من الآفات والبليات .

فالعباد لن يبلغوا ضره فيضروه ، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه ، بل هم الفقراء إليه ، المحتاجون إليه في جميع أحوالهم ، وهو الغني الحميد .

## ٥٣- باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

حيث إن الله – سبحانه وتعالى – هو المالك للأشياء ، وكل شيء بأمره وتدبيره ، ولا يعجزه شيء أو يعيقه في تحقيق مراده سبحانه .

وحيث إن العبودية تتضمن التضرع وإظهار الافتقار إلى المعبود – جل وعلا ، وهو روح الدعاء .

لذلك كله حرَّم الشرع تعليق الدعاء بالمشيئة لأنه يتضمن أمرين :

١- الإيهام في نقص الخالق ، فكأنه يستجيب على وجه الإكراه ، كأنك تقول : اغفر لي إذا لم يكن عليك حَرَجٌ ، ولذلك قال النبي ﷺ : (فإن الله لا مكره له)، أو كأنه تثقله الاستجابة أو يعجز عنها فلذلك قال: (فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه) .

٢- الإيهام في نقص المخلوق ،لإشعاره بفتور عزيمة العبد وعدم شدة رغبته في مطلوبه ، كأنه يقول : اغفر لي إن شئت فإني لستُ حريصاً على المغفرة، ولذلك قال النبي ﷺ : (ليعزم المسألة) (ليعظم الرغبة) .

ولو أن رجلا فقيرا سأل من هو أغنى منه شيئا من المال بصيغة : تصدق علي إن شئتَ أو لم يكن عليك كلفة . لشكَّ المسؤول في حاجة السائل ، لعدم الصدق في الرغبة، أو فهم منه أنه يظن أنَّ عليه كلفة .

أما قول النبي ﷺ للمريض: (طهور إن شاء الله) فهو خبرٌ أن المرضَ طَهورٌ للمسلم عن خطاياه ، وليس دعاء .

## ٥٤- باب لا يقول: عبدي وأمتي

إن جَنابَ الرب – سبحانه – عظيم ، ولذلك جاء الشرع بالنهي عما يمس ذلك الجناب من لفظ أو فعل أو اعتقاد ، ومن ذلك هذا اللفظ الذي يوهم معنى الربوبية والعبودية المتعلقين بالله – جل وعلا – فإن الرب يُطلق على السيد والمالك، وعبدُ فلانٍ قد يُراد به الرقُّ بين المخلوقين، ولذلك فالتعبير به على وجهين :

١ - أنْ يَرِدَ ذكرُهما على وجه التعاظم والارتفاع، فيُنهى عنهما، على الخلاف بين الكراهة والتحريم ، كأَنْ يدعوَه: يا عبدي، كما في الحديث النهي عنه ، لأنه مشعر بالتعظيم .

٢ - أن يَرِدَ ذكرُهما على وجه الوصف والتعريف فالأمر سائغ وجائز، كمن يُسأل عن امرأة: من هذه ؟ فيقول : هذه أَمَتي .

## ٥٥- باب لا يرد من سأل بالله

هذا الباب لتعظيم شأن الله تعالى وهو أهل العظمة والجلال سبحانه ، ف إذا أدلى على الإنسان أحدٌ بحاجةٍ ، وتوسَّلَ إليه بأعظم الوسائل ، وهو السؤال بالله ، أن يُجيبَه احتراما وتعظيما لحق الله ، وأداءً لحق أخيه، حيث أدلى بهذا السبب الأعظم .

لو قيل لك : جئتُك من طرفِ فلان لتلَبِّيَ حاجتي ، وهذا الفلان مُعَظَّمٌ لديك ، ألا ترى أن عدم استجابتك دليلٌ على عدم مبالاتك بمن سُئِلْتَ به ؟! ولله المثل الأعلى سبحانه .

والسائل بالله لا يُرد بشرط أن يكون السؤال :

١ - من سائل معين .

٢ - لمسؤول معين .

٣ - فيما يقدر عليه المسؤول ، ولا يضره .

٤ - فيما يحتاج إليه السائل .

٥ - صدق السائل في حاجته ، وغَلَبَةُ الظنِّ كافيةٌ في ذلك .

## ٥٦- باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

وهذا الباب أيضا لتعظيم شأن الله تعالى، وهو أهل العظمة والجلال سبحانه ، فمن تعظيمه أن لا يُسأل بوجهه جل وعلا إلا الجنة ، وكذلك ما دل عليها من الأمور الدينية كالطاعة والاستقامة والعلم والحفظ من المعاصي ، أَمَّا أن يَسألَ شيئا من المطالب الدنيوية بوجهِ الله فلا يجوز، بل ورد الوعيد فيما رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( ملعون من سأل بوجه الله)، ولكن يجوز له سؤال الأمور الدنيوية بغير وجه الله سبحانه .

## ٥٧- باب ما جاء في اللو

والمراد بها ما كانت للتسخط على القدر، فلذلك أورد المؤلف رحمه الله الأدلة في الذم ، وما كان كذلك فهي محرمة .

ثم اعلم أن استعمال العبد للفظة: (لو) على قسمين : مذموم ومحمود :

١ - أما **المذموم** فكأن يقع منه أو عليه أمرٌ لا يحبه فيقول : لو أني فعلت كذا لكان كذا ، فهذا من عمل الشيطان ، لأن فيه محذورين :

**أ**/ أنها تفتح عليه باب الندم والحزن الذي ينبغي إغلاقه، وليس فيها نفع.

**ب**/ أن في ذلك سوء أدب على الله وعلى قدَرِه ، فإن الأمور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره ، وما وقع من الأمور فهو مقدَّرٌ وقوعُه بلا شك، ولا يمكن رده، فكان في قوله: لو كان كذا أو لو فعلت كذا كان كذا ، نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره .

ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بتركهما .

٢ - وأما **المحمود** من ذلك: فأن يقولها العبد تمنيا للخير، أو تعليما للعلم.

كقوله ﷺ { لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولأهللت بالعمرة)) ، وقوله في الرجل المتمني للخير : (( لو أن لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان )) ، و (( لو صبر أخي موسى ليقص الله علينا من نبأهما)) . أي في قصته مع الخضر .

لكن لو قالها متمنيا للشر فهو مذموم .

فاستعمال (لو) تكون بحسب الحال الحاملة عليها .

إن حمل عليها الضجر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقدر أو تمني الشر كان مذموما .

وإن حمل عليها الرغبة في الخير والإرشاد والتعليم كان محمودا .

ولهذا جعل المصنف الترجمة محتملة للأمرين . ومثلها:(ليت) وما أشبهها.

## ٥٨- باب النهي عن سب الريح

وهذا نظير ما سبق في سب الدهر ، إلا أن ذلك الباب عام في سب جميع حوادث الدهر ، وهذا خاص بالريح ، ومع تحريمه فإنه حمق وضعف في العقل والرأي ، فإن الريح مصرفة مدبرة بتدبير الله وتسخيره ، فالسابُّ لها يقع سبُّه على من صرَّفها ، ولولا أن المتكلم بسب الريح لا يخطر هذا المعنى في قلبه غالبا لكان الأمر أفظع من ذلك ، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم .

وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الريح من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب، فلا تسبوها ، ولكن سلوا الله من خيرها ، وتعوذوا بالله من شرها) .

## ٥٩- باب قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾

وهذا الباب في وجوب حسن الظن بالله عز وجل ، والتحذير من سوء الظن به كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( أنا عند ظن عبدي بي)) وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله)) رواه مسلم .

ما ظنك برب له القدرة التامة، والعلم المحيط، والحكمة البالغة، والخَلْقُ خَلْقُه ، والأمرُ أمرُه، قريب من مطيعه، مجيب لسائله، أيُمكن أن يظن به العبد سوءاً ، فويل لمن هذه حاله، وقبحا لمن انطوى على ذلك قلبه.

فلا يتم إيمان العبد وتوحيده إلا إذا ظن بربه نصرة الحق وأهله ، وما سوى ذلك فظنون الجاهلية والعياذ بالله .

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا ، وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء ، فإنه قلَّ من يسلم من ذلك .

## ٦٠- باب ما جاء في منكري القدر

والقدر أحد أركان الإيمان كما ثبت في حديث جبريل عليه السلام ، فمن أنكره فهو كافر ، قال الإمام أحمد رحمه الله : (القَدَرُ قُدْرَةُ الرحمن) قال ابن تيمية رحمه الله معلقا على قول أحمد: يشير إلى أن من أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله، وأنه يتضمن إثبات قدرة الله على كل شيء .

وحقيقة الإيمان بالقدر خيره وشره أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن أما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ومراتب القدر أربعة :

١ – العلم .
٢ – الكتابة .
٣ – المشيئة .
٤ – الخلق .

فالله سبحانه علم كل شيء قبل وقوعه وكتبه وشاءه وخلقه جل وعلا .

## ٦١- باب ما جاء في المصورين

وكان التصوير مؤثرا في التوحيد لأمرين:

١ - أنه تشبه بخلق الله ، وكذب على الخلقة الإلهية وتمويه وتزوير.

٢ - أن صورة المألوف تعظيم ، وإذا ارتسمت في الحافظة بقي ذكرها يمر على البصر الناظر إليها ، فتستولي على قلبه ، وتَحُلُّ فيه حلولَ التعبدِ له ، ولذلك عبدوا الصالحين لما عظَّموهم ، وعظموهم لما صوروهم .

## ٦٢- باب ما جاء في كثرة الحلف

أصل اليمين إنما شرعت تأكيدا للأمر المحلوف عليه ، وتعظيما للخالق ، ولذلك أمر الله تعالى بحفظ الأيمان فقال سبحانه: ((واحفظوا أيمانكم))، ومن مظاهر حفظها :

١ - أن لا يُحلف إلا بالله ، ولذلك كان الحلف بغيره من الشرك .

٢ - أن لا يُحلف بالله إلا صادقا .

٣ - أن يُحترم اسمُه جل وعلا عن كثرة الحلف ، فإن كثرة الحلف تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد.

(احلف بالله وحده، صادقا، دون إكثار)

## ٦٣- باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

ذمة الله وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم عُلِّقت بعظيم، وخَفْرُها هتكٌ لحُرْمَة العظيم، فيجب حفظها والوفاء بها، وعدمُ ذلك قدحٌ في التوحيد.

وفي ذلك أيضا تهوين للدين والإسلام وتزهيد للكفار به ، فإن الوفاء بالعهود خصوصا المؤكدة بأغلظ المواثيق من محاسن الإسلام الداعية للأعداء المنصفين إلى تفضيله واتباعه .

## ٦٤- باب ما جاء في الإقسام على الله

والإقسام على الله هو أن يقسم العبد على ربه سبحانه أن يفعل كذا أو لا يفعل كذا ، وهو نوعان :

١ - أن يكون حامله الإعجاب والغرور بالنفس ، وعلى وجه الحجر على الله ، فهو المحرم ، كما في حديث الباب في قصة الرجل الذي تألى على ربه سبحانه أن لا يغفر الله لفلان ، مما اغتر به في نفسه ، وازدرى بذلك غيره .

٢ - أن يكون حاملُه حسنَ الظنِّ بالله ويقين موعوده والتوكل عليه ، فهو جائز ، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّه .

## ٦٥- باب لا يستشفع بالله على خلقه

وهذا من سوء الأدب في حق الله ، وهو مناف للتوحيد ، فهو تعالى أعظم شأناً من أن يتوسل به إلى خلقه ، لأن رتبة المتوسَّل به غالبا دون رتبة المتوسَّل إليه ، وذلك من سوء الأدب مع الله ، فيتعين تركه ، فإن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا بإذنه ، وكلهم يخافونه، فكيف يعكس الأمر فيجعل هو الشافع؟! وهو الكبير العظيم الذي خضعت له الرقاب ، وذلت له الكائنات بأسرها .

ولو قيل لملك : اشفع لي عند وزيرك فلان ، لكان سوء أدب مع الملك ، لأنه يأمر على من تحته لا يشفع عنده .

إشكال : أليس من سأل بالله يجاب ؟ بلى . أليس في ذلك استشفاع بالله على خلقه؟ لأنك طلبت المخلوق بالله فكأن الله وسيلة لطلبك .

الجواب : ليس هذا من هذا، لأن من سأل مخلوقا بالله إنما فعل ذلك اعتقادا منه بعظمة الله عند المسؤول ، فهذا من تعظيم الله.

## ٦٦- باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

إن التوحيد لا يتم ولا يحفظ ويحصن إلا باجتناب جميع الطرق المفضية إلى الشرك ، فكل قول يفضي إلى الغلو الذي يخشى منه الوقوع في الشرك فإنه يتعين اجتنابه ، ولا يتم التوحيد إلا بتركه .

وقد تقدم نظير هذه الترجمة ، وأعادها المصنف اهتماما بالمقام ، والفرق بين البابين أن الأول فيه حماية التوحيد بسد الطرق الفعلية ، وهذا الباب فيه حمايته بسد الطرق القولية.

والحاصل أن تمام التوحيد بالقيام بشروطه وأركانه ومكملاته ومحققاته ، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهرا وباطنا ، قولا وفعلا وإرادة واعتقادا(١).

---

(١) وما ورد في حديث الباب من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (قولوا بقولكم) على معنيين :

١ - أي ما اعتدتم عليه من الألفاظ الجائزة، وإليه عامة الشُّرَّاح .

٢ - أي لفظ (سيدنا) فهو جائز ما لم يستجرينَّا الشيطان فنبالغ في الوصف المطلق، وإليه ابن عثيمين رحمه الله .

ولذلك اختلفوا في الجمع بين النهي الوارد عن لفظ السيد ، وبين الأحاديث المجيزة له على أقوال منها :

١ - أن النهي للكراهة والأدب، دون التحريم.

٢ - أن النهي إذا خشيت المفسدة .

٣ - أن النهي خاص بخطاب الحاضر ، أما وصف الغير فجائز .

٤ - أن النهي هو الحق والمتعين ، والجواز منسوخ ، لأن النهي كان عام الوفود السنة التاسعة ، فهو متأخر .

٥ - الجواز المطلق ، إلا إذا كان سببا للغلو .

## ٦٧- باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

ختم المصنف رحمه الله تعالى كتابه بهذه الترجمة ، وذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه ، ومجده وجلاله وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه ، لأن هذه النعوت العظيمة والأوصاف الكاملة أكبر الأدلة والبراهين على أنه المعبود وحده ، والمحمود وحده ، الذي يجب أن يبذل له غاية الذل والتعظيم وغاية الحب والتأله ، وأنه الحق وما سواه باطل ، وهذه حقيقة التوحيد ولبه وروحه وسر الإخلاص .

قال ابن باز رحمه الله: هذا الباب جمع أنواع التوحيد الثلاثة .

فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه ، إنه جواد كريم .

وهذا آخر التعليق المختصر على أبواب كتاب التوحيد ، والحمد لله على تيسيره ومنته ، وصلى الله على محمد وعلى أنه وصحبه وسلم تسليما .

**حرر في يوم السبت ١٤٣٦/٧/٢٧ الساعة السابعة صباحا .**